المبحث الأول

الصور البلاغية

أولاً: الصور التشبيهية:

استخدم القاص "محيي الدين زنكنة" الصور التشبيهية من خلال الحوار الموجودفي داخل نصوصه القصصية بصورة مختلفة ومتنوعة، وذلك لكي تخدم النص بصورة فنية جميلة، ولتدل على معانٍ ومفاهيم يقصد من ورائها إلى إيصال المعاني بصورة مفهومة وواضحة، في إطار صورة فنية واضحة، بذلك يعّمق معنى الحوارفي داخل القصّة أيضاً.

ففي قصة"أنا الليل" في حوار داخلي لـ"البطل" شبه احدى"الحمامتين" بالعروس، وذلك حين أردنا التحدث معه لتعرفا لماذا يشعر بالحزن الشديد، ولماذا هو وحيد؟ وما هو السبب وراء حزنه. فوصف الحمامتين في هذه الصورة كما يأتي:-

((البطل: وإذا بها حمامة سوداء... يفوق سوادها سواد القطران، أما الاخرى فكانت كأنها العروس.. ليلة زفافها)).[1]

شبه "الحمامة" في شدة سوادها بـ"القطران" في قتامة لونها الذي أغمق من السواد العادي، والقطران: سيّال دهني يُتَّخذ من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز[2]. أو هو خليط من السوائل العضوية عالية اللزوجة لونها أسود، وهو ما يتبقى في قاع برج تقطير النفط، وكان يستخدم في عملية رصف الطرق، ويحتوى على الكثير من المعادن والعناصر القاتلة السامة. [3]

(1) قصة "أنا الليل" من مجموعة" البواكير"، 51.
(2) ينظر: المنجد: مادة: (قطر).
(3) ينظر: إنترنت: 3-7-2012، www.ar.wikipedia.org.

أما الأخرى- الحمامة البيضاء" –فشبهها بـ"العروس" عن طريق استخدام أداة التشبيه "كأن" في جمالها وبياضها الناصع المشع كالضوء فهي مثل العروس التي ترتدي فستان العرس الأبيض الناصع المضيء، وهذا دلالة على العفة والطهارة والبراءة أيضاً. وتمثل هذه الحمامة في القصّة جانب النور والخير ضد الظلم والشر والظلام أي، تمثل قوة الصراع بين الخير والشر، النور والظلام.

ومن الصور التشبيهية الاخرى في الحوار قصة "الليل والمطر"، حيث استخدم القاص صورة تشبيهية في الحوار الذي دار بين شخصية "زوجة الأخ" وشخصية "عبدالله"، وهو بطل القصّة عندما كان يعاني صراعاً داخلياً عميقاً مع نفسه، لأنه لم يكن يريد البقاء مع "زوجة أخيه"، لأنه كان خائفاً من أن يرتكب ذنباً وخطيئةً، ويقوم بخيانة"أخيه" الذي وثق به وأبقاه في بيته، إلا أن "زوجة الأخ" كانت سيئة السلوك والأخلاق تقوم بإغواء الرجال وتراودهم عن أنفسهم. إلا أن "عبدالله" يواجه "زوجة الأخ"، لأن سقوط المطر بغزارة شديدة في تلك الليلة جمعهما جعلهما يتقابلان ليقوما بمعالجة تلك المياه المتدفقة إلى البيت حتى وصل إلى سقوط سقف البيت. وفي حوار "زوجة الأخ" حين نبهت "عبدالله" قالت الزوجة:-

((زوجة الأخ: والسقف يسقط، الماء كرِشاش مستمر)).[1]

لقد شبهت الزوجة حبات المطر الخفيفة، وسقوطها بشكل مستمر ب"الرِشاش"، المشبه هو "الماء" والأداة "الكاف"، والمشبه به "الرشاش"،ووجه الشبه محذوف، وهذا يدل على أن القاص" التشبيه المجمل"، ذلك لأن وجه الشبه محذوف، ويدرك هذا من خلال الحوار. وهو دلالة على سرعة سقوط ماء المطر بصورة سريعة ومستمرة دون انقطاع، مثل الذي يَرُش الماء بيده دون توقف وبسرعة فائقة.

وفي حوار آخر دار بينهما، طلبت منه "زوجة الأخ" أن يصعد إلى السقف ليجد حلاً للثقب الموجود في السقف ويصلحه وقالت:-

(1) قصة"الليل والمطر" من مجموعة" البواكير"، 132.

((زوجة الأخ: اصعد لعلك تجد الثقب.. لقد غدا السقف كالغربال.)).[1]

استخدم القاص على لسان "زوجة الأخ" صورة تشبيهية أخرى، هي تشبيه "السقف" وهو المشبه عن طريق الأداة "كاف" بـ"الغربال" الذي هو المشبه به، ولكن وجه الشبه يدرك من خلال فهم الحوار -أي أن السقف أصبح أسوداً- وأصبحت ثقوب السقف تكبر وتنفتح بصورة أسرع نتيجة سقوط المطر بغزارة، وكأن السقف، قد أصبح غربالاً،ينزل الماء ومن جميع جهاته، لذلك سوف يسقط بصورة مفاجئة عليهما.

إن هذا التشبيه من التشبيه المجمل أيضاً لأن وجه الشبه محذوف فيه. وفيه دلالة على أن الثقب الذي في السقف وُجِدَ نتيجة سقوط المطر بصورة سريعة دون انقطاع، مثل آلة" الغربال" التي تستخدم لتصفية الحنطة والشعير من الشوائب أو تستخدم عزل الأشياء الدقيقة من الغليظة، أو تستخدم لنخل الدقيق وما يشابِهَهُ من الشوائب، هي آلة يدوية، وتتكون من شبكةٍ من الأسلاك أو خيوط الألمنيوم الرقيق، ويحيط بها إما محيط خشبي أو معدني[2]،فهو يقول إن حبات المطر وسقوطه على السقف أحدث مجموعة من الثقوب في السقف، وجعلتها مثل الثقوب الموجودة في تلك الآلة.

أما في قصة "سبب للموت سبب للحياة" فصّور لنا القاص صورة الجلاد صاحب "البدلة الصفراء" في حوار داخلي للبطل عندما قال في نفسه:-

((البطل: عاود الضرب على رأسي بضراوة أشد. قال له الآخر الذي وصل لتوه في بدلة صفراء. بلون السل)).[3]

(1) م. ن، 132.
(2) ينظر: إنترنت: 17-7-2012 www.sonosi.maktoobblog.com.
(3) قصة "سبب للموت سبب للحياة" من مجموعة "الكتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 27.

لقد شبه القاص عنه وأعطاه صفة للشكل والبدلة التي يريدها إنها بلون "السل" وهو في الواقع مرض خطير يقود الإنسان إلى الموت، والقاص قصد بها الدلالة على النفوس المريضة لهؤلاء الجلادين وكل من يشبههم من أتباع السلطة والنظام القمعي الظالم الذي يستمتع بتعذيب الناس الأبرياء، وقتلهم وإبقائهم داخل السجون ليجعلهم يعانون من عذاب نفسي وجسدي ومعنوي في آن واحدٍ معاً. كأن لون البدلة إنعكس على وجه الجلاد الذي لبسه وأصبح من معالم وجهه الذي يعرف به لدى الناس.

وهناك دلالة أخرى، وهي أن الشخص الذي يصاب بمرض "السل" تظهر عليه آثار المرض فيضعف جسمه ويصبح هزيلاً ونحيفاً جداً حتى لا يبقى من جسمه الا هيكله العظمي، كأنه الميت، لأن الروح لايبقى لها وجود ولاتكون له رحمة وأن هذه الصفة لصاحب البدلة مناسبة له، لأنه لم يعد إنساناً حياً بل مجرد ميّت من الإحساس والعاطفة أو الشعور بهما. بل إنه يعيش فقط ليتلذذ من صور هؤلاء الناس الذين يعذبهم ويَذلهم ويُهينهم. إن القاص لعن بقوله هذا أصحاب تلك النفوس والملامح،وأراد أن يعبر عن آيديولوجيته السياسية ومعارضة السلطة، والحلم بالمستقبل وتحقيق الثورة من خلال البطل، لأنه كان رمزاً للتضحية بحياته التي أدرك قيمتها في وقت متأخر وأدرك أنه يستحق أن يعطي هديةً لمن يستطيع أن يواصل بخطواتهِ نحو الثورة والحرية.

استخدم القاص صورة تشبيهية اخرى ليقدم عن طريقها معاناة البطل وعذابه داخل السجن، وكيف قاموا بتعذيبه حتى وصل إلى استخدام أبشع الطرق. وظهرهذا من خلال الصورة التشبيهية عن طريق الحوار الداخلي للبطل عندما شبه الدم الذي يسيل منه نتيجة ما تعرض له من ضرب قاسٍ بـ"الحية" إذا تنزل وتنزلق على رقبته وجسمه عندما قال:-

((البطل : انزلق سائِل ساخن على رقبتي، وكحية دافئة أخذت تنساب بهدوء دغدغني إنسيابه الرقيق.)).[1]

شبه البطل "السائل الساخن" الذي يقصد به الدم بالحية، فعندما يخرج الدم من جسم الإنسان تكون فيه نسبة الحرارة مرتفعة قليلاً، وبعد ذلك يَبْرُد ويجمد في مكانه، فالحية وهي الطرف الثاني من أركان التشبيه عن طريق أداة "الكاف"، ووجه الشبه بينهما هو سخونة الدم وليونته وكيفية نزوله بهدوء مدغدغاً للجسم، إن وجه الشبه هو الشعور بالحرارة والهدوء في سيلان الدم، ولزوجته، وليونته، ورطوبته، وهو مثل الحية في صفاتهما المشتركه، فلإنسان يحس بالدغدغة، حين ينزل الدم أو يَمُر كالحيّة على جسمهِ.

في هذه الصورة صورة تشبيهية ضمنية، وهي إن هؤلاء الذين قاموا بتعذيبه كانوا مثل الحية التي لاتترك فريستها دون أن تهجم عليها هجمةً قويةً إلى أن ترى الدم يسيل منها. وهو مثل تلك الفريسة التي لايستطيع أن يحمي نفسه من هؤلاء الجلادين الذين قاموا بتعذيبه لكي يحصلوا منه على المعلومات التي يريدونها. إذن صور القاص بوساطة التشبيه الضمني الحالة التي كان يعاني منها البطل والمتلقي باستطاعته تخيل هذه الصورة في ذهنه،و كيف قاموا بتعذيب البطل وماذا حصل معه نتيجةً لذلك.

وصورة أخرى قدمها القاص لنا من خلال حوار داخلي للبطل عندما قال:-

((البطل: هذه المخلوقات الغريبة عن دنيا البشر. إذ كانت تكشيرة بغيضة.. وهيجاناً فظيعاً: كثور إسباني متمرس في حلبات المصارعة لُوح له أحدهم بوردة حمراء)).[2]

شبه البطل هؤلاء الجلادين بثور إسباني عن طريق أداة التشبيه "كاف" ووجه الشبه بينهما هو ملامح الغضب والهيجان وسرعة الهجوم، مثل الثور الأسباني فهم

(1) قصة "سبب للموت سبب للحياة" من مجموعة "الكتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 28.
(2) م. ن، 28.

مستعدون للمصارعة. وهو مثل رداء أحمر أو وردة حمراء لُوح بها أمام الثور فأثاره، وهاج، وغضب وحاول أن ينقض على فريسته.

ونجد في هذه الصورة صورة متحركة، لان القاص أتى بصورة تمثيلية ،كأنه يمثل لنا ما حدث مع البطل، لأن وجه الشبه بين الجلادين وبين الثور أخذ من اشياء متعددة، وهي ممارسة طرق التعذيب والغضب والهيجان والتكشير، والاستعداد للهجوم كلما رأوا وردة أو أي شيء باللون الأحمر لكي يثيرهما ويغضبهما.

وتكرار هذا المشهد أو الصورة أمام الجلادين واستخدام وسائل التعذيب بأنواعهما المتعددة جعلهم مثل الثور المتدرب والمتمرس على اللعبة كل يوم تحضيراً لمباراةٍ جديدة، لأنهم كانوا يمارسون تلك الوسائل الوحشية بصورة يومية- أي أصبح مثل التحضيرِ لِلُعبةٍ جديدة تتغير فيها فقط الضحية أو الفريسة، لأن سجون النظام كانت مليئة بالثوار والمناضلين، وكلهم متساوون مع الوردة الحمراء بالنسبة للثورفي داخل حلبة المصارعة.

أما في قصة "حيث الناس يعيشون كالهواء" استخدم القاص مجموعة كبيرة من الصور التشبيهية في حوار الشخصيات التي رمز إليهم بالأرقام، حين دار بينهم حوار عن "الجبل" الذي أصبح عائقاً أمامهم يمنعهم من الوصول إلى مدينتهم الفاضلة التي يحلمون بها. يقول "الشخص الثاني" حول صورة الجبل وكيف يبدُو شكله لهم :-

((الشخص الثاني: هذا هو الجبل السوار الذي تلبسه المدينة)).[1]

شبه "الجبل" أو"سلسلة الجبال" بـ"السوار" حذفت الأداة ووجه الشبه ، والمقصود أن "الجبل" أو" سلسلة الجبال" دائرية في صورتها، مثل" السوار" حول المدينة، فـ"المدينة" مشبهة بـ"المرأة" التي تلبس "السوار" للتزيين، لأنه نوع من أنواع الحُلي والمجوهرات، وهنا شبه "المدينة الجملية" بـ"المرأة الجملية" التي تضع الحُلي لتزداد جمالاً، أي إن "الجبال" أعطت جمالاً إضافياً للمدينة على الرغم من

(1) قصة "حيث الناس يعيشون كالهواء" من مجموعة" كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 20.

صعوبة الصعود عليها، إلا أنهم كانوا مجبورين على اجتيازها من أجل الوصول إلى المدينة التي يحلمون بها.

وهناك صورة أخرى نجدها في الحوار الدائر بين "الشخص الأول"، و"الشخص الثاني" حين قال:-

((الشخص الأول: يقال إن خلف الجبل مدينة جميلة، يعيش فيها الناس كالهواء.

سأله الثاني بسرعة:

الشخص الثاني: كالهواء؟... حقا...أ أنت متأكد؟)).[1]

في هذه الصورة شبه القاص "الناس" بـ"الهواء" بوساطة الأداة "الكاف" وهذه الصورة التشبيهية تشبيه مجمل، لأن وجه الشبه محذوف، ويدرك ذلك من خلال لفظة "الحرية"، وفي سؤال "الشخص الثاني" أكد القاص من خلال الحوار أن أهل تلك المدينة يعيشون "كالهواء" وفيه تكرار للأداة ولفظة المشبه به، وهذا دليل على وجود الحرية للناس في تلك المدينة، فهم يعيشون بحرية تامة دون قيود أو رقابة، و هؤلاء الثلاثة يريدون التخلص من مدينتهم التي يحكمها "ملك" ظالم وطاغٍ، وهو يعاقب كل من يفكرأو يحلم بالحرية. لذلك قررّوا الفرار والذهاب إلى "المدينة الجملية" لكي يعيشوا ويستمتعوا بحريتهم.

صورة أخرى أتى بها القاص في حوار"الشخص الثاني" مع "الشخص الأول" وخططهما للهروب مع رفيقهما، أي-"الشخص الثالث" -إلا أنهما كانا خائفين وحزينين، لأن لديهما عائلة تُركت وراءهما ،ولكن قال"الشخص الثاني"في الحوار:-

((ولكن... لرفيقنا زوجة.. وأولاد أيضاً... كالورود..)).[2]

شبه القاص "الأولاد" عن طريق استخدام الأداة "كاف" بـ"الورود"، وهذا تشبيه مجمل لحذف وجه الشبه،وهوالدلالة على البراءة والجمال والنقاء والصفاء، لأن الأولاد كانوا مُهمون جداً لـ "الشخص الثالث" ورغم ذلك فهو كان شجاعاً ولم

(1) م. ن، 48-49.
(2) قصة "حيث الناس يعيشون كالهواء" من مجموعة" كتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 50.

يكن خائفا، بل أقدم على التضحية بهم، وبنفسه من أجل تحقيق هدفه الذي هو الحرية من أجل العائلة وكل الذين يحلمون بها.

وصورة أخرى استخدمت في الحوار بين "الشخص الأول" و"الشخص الثاني":-

((الشخص الأول: دموعي.. نجوم.. دموعي... نجوم...

اقترب منه الثاني، قلقاً عليه:

الشخص الثاني: بماذا تخرف؟ هل جننت؟

الشخص الأول: نجوم نتلألأ... في سماء سوداء....))..[1]

شبه دموعه بالنجوم، وهو تشبيه بليغ لأن الأداة محذوفة مع ووجه الشبه ثم شبه أنفسهم بالنجوم أيضاً، حيث أصبحوا مثل النجوم في مكان رفيع وعالٍ في السماء يتمتعون بالضوء والبرق في سماء سوداء، كلها حزن وتشاؤم في سماء مدينتهم الحالية، وكأنهم أصبحوا بريق أمل ونجوماً لأهل مدينتهم، لكي يصبحوا أحراراً فيها ويتمتعون بحريتهم في مدينتهم.

أما في قصة "القوقعة" فاستخدام القاص الصور التشبيهية في حوار بين الشخصيات يدل على حالة البطل "العم إبراهيم" ففي حديث عمّا فعله مع ابن الآغا "حسن" وكيف يشعر بالخوف والندم لما أقدم عليه من أعمال إجرامية، وقتل أُناس أبرياء من أجل خدمة "الآغا" في ذلك الوقت، وندمه عمّا فعله لسفكهِ دم أناس أبرياء، وهروبه للسبب نفسه من قريته التي تقع قرب الحدود التركية.

إنه الآن في مهمة من قبل "الآغا" فعليه إيصال "حسن" إلى قرية "كاريزة" إلا أنه طوال طريق السفر كان "حسن" يشعر بالخوف، وفي نفسه السؤال الذي يحيره هل إنهم سيصلون إلى القرية بسلامة دون أن يعترض طريقهم أحد أو شيء، وكان "حسن" يسأله بصورة شبه مستمرة هل هو يشعر بالخوف مثله؟ ولكن كانت أجوبة "العم إبراهيم" قصيرةً وغير كافية لـ"حسن" لكي يطمئن ويزول قلقه، لأن

(1)م. ن، 50.

الأجوبة كانت قصيرة وموجزة لذلك شبه "حسن" تلك الأجوبة من خلال الحوار بالسكين الحاد من خلال صورة تشبيهية بوساطة الكاف، حين عندما قال "حسن":-

((حسن: وأنت عمي إبراهيم؟ ألست خائفاً؟ ألا تشعر بالخوف أبداً ؟ هـ... هل.... أ...، أ.. ألا تحفل بالموت... ألا تفكر بالنجاة..

العم إبراهيم:... سيان!

حسن: آخ... أجوبته القصيرة الحادة كالسكين..)).[1]

شبه "الأجوبة" بـ"السكين" وهو المشبه به عن طريق أداة الشبيه "الكاف" ووجه الشبه هو الحدة والقوة والسرعة لذلك فهو لايفهم منها شيئاً، بل هذه الاجوبة زادت من قلقه، وجعلته يشعر بالخوف والوحدة بصورة عميقة جداً بحيث لايمكن التخلص منها.

وفي حوار داخلي أورد القاص صورة تشبيهية أخرى من خلال تصورات "حسن" تجاه "العم إبراهيم" وشخصيته الجديدة التي تغيرت بصورة مفاجئة بالنسبة له، لأنه كان شخصاً يستطيع الوثوق به والاعتماد عليه، وكان يحبه أكثر من أبيه، لكنه لم يفهم لماذا كان "العم إبراهيم" يلزم الصمت طوال طريقهما إلى قرية "كاريزة"، لأن صمت "العم إبراهيم" كان دليلاً على أنه كان يُفكر بكل ما ارتكبه من جرائم بحق الآخرين وإن جزاء تلك الجرائم سيكون القتل يوماً ما على يد أحدٍ ما أيضاً. واعترف بأنه يستحق تلك النهاية. لذلك أصبح "حسن" يهابه ويخاف منه كثيراً،وقال في نفسه:-

((حسن: سينقض عليّ كالذئب)).[2]

شبه القاص "العم إبراهيم" عن طريق استخدام أداة "الكاف" بـ"الذئب"، ووجه الشبه هو عدم الامان والغدر أن "العم إبراهيم" أصبح في نظر "حسن"مثل "الذئب"

(1) قصة" القوقعة"، من مجموعة "الجبل والسهل"، 138.
(2) قصة" القوقعة"، من مجموعة "الجبل والسهل"، 14.

الذي لا أمان له، لذلك فهو معرض للخطر في كل لحظة يمضيها معه، ومن الممكن أن يفترسه ويهجم عليه مثل "الذئب" الذي ليس له أمان ولايمكن التنبؤ بأفعاله وسلوكه، لأنه تغير ولم يعد ذلك الشخص الذي كان يعرفه. وهذا جعله أكثر قلقاً وخوفاً من هذا الشخص الذي لايهاب أحداً ولايخاف من أي شيء حتى من الموت نفسه.

ثانياً: الصور الاستعارية:-

فضلاً على الصور التشبيهية المتعددة التي استخدمها القاص استخدم القاص الصورة الاستعارية من الاستعارة التصريحية و المكنية أيضاً. لأن الكاتب يستطيع من خلال الصورة أن يعبر عن مشاعره الذاتية وإحساساته وتجربته الفنية والأدبية، لأن ((الاستعارة والتشبيه هما من أهم ما يخلقان علاقات غير مألوفة، وينتجان الصور الشعّرية)).[1]

ففي قصة "أنا الليل" استخدم الكاتب صورة استعارية جميلة من خلال الحوار الداخلي "للبطل" حين كان يناجي نفسه قال:-

((البطل: مزق خيمة سكوني صوت لا أعرف كنهه)).[2]

من خلال الاستعارة جعل القاص "الصوت" شبيهاً بآلة "السكين" حيث تتمتع بقدرة على تمزيق ذلك السكون الذي أصبح كخيمة للبطل، وحذف المشبه به وأبقى لفظة تدل عليه وهي "مزق" على سبيل الاستعارة المكنية، لأن ((التشبيه كالأصل في الأستعارة)).[3]

و في صورة اخرى من الاستعارة المكنية صور القاص مشاعر" البطل" وحزنه العميق في حواره مع "الليل" عندما قال له "الليل":-

(1) نقلاً عن: البني الشعرية في مسرحيات محييى الدين زنكنة، باوةدين كريم مولود، 193.
(2) قصة "أنا الليل" من مجموعة "البواكير"، 46.
(3) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، 31.

((الليل: بل لك هموم تخر الجبال تحتها صريعة)).[1]

استخدم القاص هذه الصورة ليعبر بها عن الألم الذي يشعر به"البطل" نتيجة فراقه عن حبيبته "زهرة" لأنها تركته وتزوجت من شخص آخر غني، وأن غناه أقنع عائلتها كي لايزوجوا بنتهم من شخص تحبه، لذلك اضطرت "زهرة" لترك حبها. وهذا أدى إلى خلق حزنٍ عميق إلى درجة أن الجبال رغم صلابتها وقوتها لايمكن أن تتحمله وإن "الليل" يحاول أن يخفف عن "البطل" من خلال اعتراف "البطل" له بكل ماشعر به، لأنه لن يستطيع حمله لوبقي على حاله هذا. لذلك حاول القاص من خلال الصورة أن يصور مدى حزن ومعاناة وألم البطل وعمق ما شعربه وتصوير الحالة النفسية للبطل وما يعانيه داخلياً.

(4) قصة "أنا الليل" من مجموعة "البواكير"، 47.

وفي صورة أخرى عندما سخر "البطل" من "الليل" في حوار مع نفسه قال:-

((البطل: فكيف إذن تخفي تلك الجرائم الكبيرة وتبتلع صرخات البؤساء)). [1]

صور القاص من خلال الصورة الاستعارية حالة "البطل" وشعوره تجاه "الليل" بأنه يخفي كل شيء في سواده، ويتستر على القبائح الموجودة في العالم كلها ،فشبه "صرخات البؤساء بشيء يؤكل ويبتلع" وشبهه بكائن له القدرة على إبتلاع كل من يعترض طريقه، ولايعطي أية فرصة للبائسين أن يطلقوا صرختهم وينطلقوا بكل حرية للدفاع عن أنفسهم والتنفيس عن ألمهم وحزنهم. فحذف المشبه به وأبقى لفظة تدل عليه وهي "الابتلاع" وهي صفة لكائن حيواني مفترس وخطير يقتل فريسته ويبتلعها وهذه الصورة من الاستعارة المكنية.

وفي حوار "الحمامتين" مع بعضهما عندما كانتا تتناقشان حول حال "البطل" وما يشعر به من حزن ووحدة، قالت إحداهما:-

((وهل يلتمس الوحدة غير الذي اخترقت فؤاده أسهم الحزن، ومزقت أحشاءه الكآبة الخرساء...؟)).[2]

شبه حالة "حزن البطل" وكآبته بآلة أو سكين يمزق به أحشاءه ويقطعه، لأن هذا الحزن يأكله من الداخل ويمزقه، على سبيل الاستعارة المكنية حيث المشبه به محذوف.

وفي قصة "قبلة في الظلام"، صور لنا القاص من خلال الاستعارة التصريحية خوف "أحمد" على حبيبته "سلوى" عندما قال في حوارٍ لها:-

((أحمد: علينا أن نفترق قبل أن ترانا تلك الذئاب البشرية)).[3]

لقد استعارة القاص عن الناس الذين لايتمتعون بنفوس طيبة، وروح صادقه بالذئاب، أو بالأحرى الانسان الذي يتمتع بصفات حيوانية فهو مثل الذئب، أو أنهم

(1)م. ن، 48.
(2) ن، 50.
(3) قصة"قبلة في الظلام" من مجموعة "البواكير"، 61.

مثل "الذئاب"، لأنهم في قرارة أنفسهم أشرار ومجبولون على الأذى. وأن "أحمد" يحذر حبيبته"سلوى" من هؤلاء الذين ينوون إيذاءهم، ويحاولون أن يفرقوا بينهما مثل صديقتهم المقربة "ماري" التي كانت سبباً في إنفصالهما وسبب شعورهما بالحزن والألم، لأن حبهما الطاهر والجميل انتهى ولم يعد له وجود ولم يبق لهما سوى الحزن والألم.

وشبه "الذئب"بـ "البشر" وهو المشبه به دون أن يقول بصورة صريحة ومباشرة عن خيانة الصديق ويقول إن المظاهر والوجه الآدمي لايعني الطيبة والوفاء والمحبة، بل إن داخل الإنسان ونفسيته هو الأساس. لذلك على الانسان أن لايكون مثل "الذئب" الذي ينتظر اللحظة المناسبة للخيانة والغدرلكي ينقض على هدفه وكيف يستخدم وسائل المكر والخداع.

وفي قصة "هدية لسعادة الباشا" وهي من قصص المجموعة نفسها نجد الصورة الاستعارية عندما قال البطل "السيد عبدالكريم الشيخ مصطفى" في حوار مع نفسه:-

((السيد عبدالكريم الشيخ مصطفى: المدينة قتلت كل الطيور)).[1]

فـ"المدينة" أصبحت جافة وقاسية وبلا رحمة، لأنها مزدحمة بالناس، ولم يعد فيها الهواء المنعش للتنفس، وفقدت ملامحها الجميلة، وتلوثت بيئتها، ولم تعد الطيور تحبذ المدينة لبناء أعشاشها فيها. بل إن الريف هو المكان المناسب للطيور، حيث الهواء العليل وفي أحضان الطبيعة والخضرة والمياه التي تعطي الحياة، وهذا فضلاً على بساطة الحياة والعيش في الريف، حيث سكان الريف يفكرون دون قيود ولايحتاج الإنسان إلى أن يكون شخصاً آخر ولايكون نفسه – أي ذاته – لكن المدينة مختلفة، لأن الحياة معقدة والمصالح متعددة، ومقاربة الناس ذوي السلطة والنفوذ أصبحت من أولويات أهلها، كما فعل بطل القصّة من خلال شرائه "البلبل" لصديقه الذي أصبح "وزيراً" و لكن هذا الشخص لم يعد ذلك الشخص الذي عرفه، حتى لم

(1) قصة "هدية لسعادة الباشا" من مجموعة "البواكير"، 150.

يسمح للبطل بمقابلته بحجة أنه مشغول، وليس لديه وقت له ولطيره البّري، لأنه لم يعد يريد هذا النوع من الطيور، بل كان يريد طيوراً ذات قيمةً -أي باهظة الثمن- ومن بلاد أجنبية. ولم يصرح القاص بهذا الأمر بل عن طريق الاستعارة المكنية صور لنا قتل المدينة للطيور.

وفي صورة اخرى نجد بطل القصّة اسمه "السيد عبدالكريم الشيخ مصطفى" وهو موظف عادي في الحكومة يسمع خبراً بأن صديقاً له أصبح وزيراً، وهو أراد أن يزوره ويهنئه بهذه المناسبة ويقدم له هديةً تليق بمقام سيادة الوزير في زيارة خاصة يريد القيام بها إلا أنه يواجه صعوبةً في الزيارة. ويقول في حوار داخلي:-

((السيد عبدالكريم الشيخ مصطفى: نعم فالحسد يأكل قلوبهم، ويعمي عيونهم، ويخرس ألسنتهم)).[1]

شبه القاص "الحسد" بحيوان مفترس، الذي يهاجم القلب والعين واللسان فيأكل القلب، ويقتلع العيون، ويبتلع اللسان، وأعطى " الحسد" صفات حيوانية ووحشية وهو المشبه، وحذف المشبه به وهو"الوحش" وأبقى لازماً من لوازم المشبه به الذي هو الحيوان أو"الوحش" ليدل عليه من خلال أفعال "يأكل، ويعمي، ويخرس" في صورة الاستعارة المكنية. وذلك لأن الاستعارة ((تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ)).[2] ولأن "السيد عبدالكريم" كانت في داخله رغبة قوية في أن يعرف الناس سبب ذهابه إلى "الوزير" وحمله هذا "البلبل"معه، لكي يعرف الجميع أن له صديقاً أصبح وزيراً، وتجمعهما علاقة صداقة قوية، إلا أن أحداً لم يبال به وبعلاقته تلك ففسر هذا الأمر بأنه "الحسد" لاغير منهم يشعرون به تجاهه.

أما في قصة "سبب للموت سبب للحياة" صورة استعارية أخرى استخدمها القاص وهي عبارة عن الاستعارة التصريحية لأن المشبه محذوف. وذلك في حوار "البطل" مع "الجلادين" عندما قال لهم مرة بصوت خافت في داخله :-

(1) قصة "هدية لسعادة الباشا" من مجموعة "البواكير"، 144.
(2) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، 42.

((البطل: أنتم وحوش)). [1]

لقد كرر القاص هذه الصورة من الاستعارة لتأكيد القاص على معاناة البطل، وفي الأولى كانت بصوت غير مسموع لكن بعد ذلك تحول إلى صوت عالٍ، لأنه لم يعد خائفاً منهم بعد كل ما فعلوه به من إهانة وضرب وظلم. وهذا دليل على قسوتهم وخبثهم ودنائتهم، صحيح أنهم في صورة الانسان جسماً وشكلاً، ولكن عقولهم وتفكيرهم مثل الوحش الجائع الذي لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، لأنهم يريدون الحصول على مبتغاهم بأي وسيلة كانت. لذلك فهم وحوش بأقنعة آدمية وضعوها على وُجوههم، ولكنهم في حقيقة الأمر وحوش. وأصبح القتل مهنتهم فهم متمرسون في الهجوم مثل الثور، حين يرون دماء الضحايا وهذه الدماء التي تشبه الورود الحمراء،وهذه الدماء تزيدهم غضباً وحقداً وهيجاناً.

و صورة استعارية اخرى في حوار بطل القصّة مع نفسه عندما كان يفكر بأمور كثيرة، وهو تحت رحمة الجلادين يعذبونه ويسألونه عن مكان "القائد" فقال:-

((البطل: فقد كانت لدي أسئلة كثيرة تقلقني حول هذا الوضع الذي يكاد الظلام يخنق كل بصيص نور فيه)).[2]

هذه الصورة الاستعارية تمثل مدى الحزن الذي سيطر على البطل، لأنه شبه "الظلام" بـ"الإنسان" الظالم أو الجلاد الذي له القدرة على أن يضع يديه في رقبته، بلا رحمة فيخ[illegible] "نور". والقصد من النور هو الأمل مرة أخرى في لقاء "القائد" أو "الصديق" الذي يحارب الظلم والشر، فذكر لفظة "يخنق" لتدل على فعل يقوم به الإنسان الشرير أو حيوان مفترس. وهذه صورة للاستعارة المكنية، لأن المشبه به محذوف وذكر شيء من لوازمه.

(1) قصة "سبب للموت سبب للحياة" من مجموعة "الكتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 29.
(2) قصة "سبب للموت سبب للحياة" من مجموعة "الكتابات تطمح أن تكون قصصاً"، 30.

وفي صورة أخرى رمز القاص من خلالها إلى مدى قسوة الإنسان عندما يفقد نفسه ويخدم نظاماً وسلطةً كلها شر وظلم، الذي يعمل من أجل إخماد الثورة والحرية في عيون أبناء الشعب. و صور ذلك عن طريق حوار "البطل" مع أحد الجلادين وقال له "الجلاد" في حوارهما :-

((الجلاد: سأقتلك

البطل: أدري

الجلاد: وكيف تدري؟

البطل : من عينيك.

الجلاد: ماذا في عيني.

البطل: بُحيرتا دم... وجثث)).[1]

لم يقل البطل بصورة مباشرة بأن الجلاد قاتل، بل صور لنا "عيون" الجلاد و تشبيهها بـ"بحيرتا الدم" و"الجثث"، وهما يدلان على قتل الكثيرين من الناس الأبرياء الذين وقعوا ضحايا النظام وظلمه وإذلاله، حيث صنعوا من الدم بحيرةً وجعلوا من بياض العين أحمر نتيجة ما رأته العين من عمليات القتل أمامها، وباتت العين تفضح صاحبها وتنقل إلى الآخر صور غير محسوبة وغير متوقعة مما يفكر به، لذلك عرف البطل من نظرة عين الجلاد أن مصيره سيكون مثل كل هؤلاء الذين ضحوا بدمائهم من أجل حرية الوطن.

(1) م. ن، 32.